

طنجة:

عروس شمال المغرب الساحرة

الدار البيضاء - نور الدين سعودي

نقطة تقاطع بين المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط وبين الحضارات، مدينة طنجة المغربية غنية بتاريخها العريق، بموقعها الجغرافي والجيوسراتيجي المتميز، بجمالية عمرانها وتنوع عطاءاتها الفنية والثقافية. مدينة البوغاز طنجة، بوابة إفريقيا إلى أوروبا، هي أيضا مدينة سياحية بامتياز لما تتوفر عليه من معالم تاريخية وشواطئ رائعة ومنتجات ربيعية ألهمت العديد من الأعمال الإبداعية العالمية.



Kasbah de Tanger

القصبة



Cap Spartel

رأس سبارطيل-طنجة

قواربها قولته الشهيرة: "البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصير...". استقر بها في القرن الثاني عشر ابن طفيل، من أكبر الفلاسفة والعلماء العرب، صاحب رواية "حي بن يقضان"، وولد بها الرحالة الشهير ابن بطوطة في بداية القرن 14 ومنها انطلق لاكتشاف عدة بقاع من العالم خاصة آسيا وإفريقيا والتي دونها في مؤلفه الذائع الصيت "الرحلة".

وخلال هذا القرن (14 م) كانت طنجة تعد من أهم موانئ غرب البحر الأبيض المتوسط، إلى جانب مرسيليا، برشلونة، جنوة، والبندقية، وبعد سقوطها تحت النفوذ البرتغالي من القرن الخامس عشر إلى القرن السابع عشر، انتقلت المدينة إلى النفوذ البريطاني سنة 1661 كـ"مهر" للملك "ستوارت الثاني" إلى سنة 1684 حيث استرجعها السلطان العلوي المولى إسماعيل بعد حصار طويل، وإلى هذه الفترة تعود بداية انتشار استهلاك الشاي الأخضر بالمغرب.

طنجة مدينة ألهمت الأساطير القديمة وسحرت المبدعين عبر التاريخ، بعض الروايات الشعبية تفسر اسم المدينة بناء على حكاية مفادها أن سيدنا نوح (ع) بعد نجاة من الطوفان تاهت سفينته إلى أن وصلت إلى مشارف البوغاز حيث جاءت حمامة وحطت فوق إحدى أشرعة السفينة وبمخالبة شيء من الطين فصاح البعض "الطين...جا" أي اليابسة جاءت بمعنى أنها قريبة، ومن ثمة "طنجة"، غير أنه من المرجح أكثر أن يكون اسم المدينة مستمدا من الأمازيغية والتي يوجد بها لفظ "طنج" والذي يعني المرجى.

واليونانيون هم الذين حكوا أروع الأساطير عن مدينة البوغاز، فحكاياتهم تفسر نشأة مضيق جبل طارق بالمعركة الطاحنة التي دارت بين العملاقين الحارقين "هرقل" و"أنطي"، حيث من جراء ضربة بالسيف من طرف "هرقل" تم شق المضيق، وكان "أنطي" قد أطلق اسم زوجته "طينغة" على المنطقة، وبعد ذلك، أنشأ ابن "زوس" أعمدة على طرفي المضيق ستحمل اسم "هرقل" وتعد حدا للعالم طيلة قرون عديدة، وذكرت طنجة ومنطقتها أيضا كمجال لأعمال "أوليس" بطل رواية "هوميروس" الشهيرة "أوديسيا".

لذا، فمنذ تأسيسها في القرن الرابع قبل الميلاد تحت اسم "طنجس" ومدينة البوغاز محط أطماع العديد من الدول: القرطاجنيين والرومان والفينيقيين والوندال والبرتغاليين والأسبان والإنجليز.

ومن أبرز محطات تاريخ طنجة العربي: في سنة 705 ميلادية دخلها موسى بن نصير وفي سنة 711 انطلق طارق بن زياد من احد شواطئها نحو الجزيرة الخضراء لفتح الأندلس وقال لقواته بعد أن أحرق

تعرض مدينة البوغاز على السائح مشهدين متفردين هما "رأس مالاباطا" شرقا بالساحل المتوسطي، حيث يمكن التمتع بمنظر رائع لطلوع الشمس، و"رأس سبارطيل" المطل على المحيط الأطلسي، الذي يقدم مشهدا خلابا لغروب الشمس



Vue panoramique de Tanger



منظر عام لطنجة

منظر عام لطنجة

المحاطة بسواري رخامية بديعة، حيث يوجد متحف (قصر السلطان سابقا) يحتوي على نواذر من التراث المغربي: خشب مزخرف، زرابي، أسلحة، ملابس وغيرها. وكذا عدة مساجد، أهمها "الجامع الكبير" وجامع سيدي بوعبيد ذي الصومعة البديعة بزخرفتها المتميزة والتي تطل على "السوق الكبير" حيث تباع مختلف المواد والمنتجات المحلية والمستوردة. وتمتاز مدينة البوغاز أيضا باحتضانها لحدايق "المنشوية" ذات الأشجار العريقة التي تمتد جدرانها إلى ثمانية قرون ولتحف متميز ألا وهو "متحف فوريس" الذي يحوي 115000 من تماثيل الجنود الذين يشخصون أشهر المعارك التاريخية: معركة الملوك الثلاث، معركة "واترلو"، أو معركة "السوم".

ومن أهم مشاريع السياحة البيئية بالمنطقة المشروع الذي يحمل اسم "دوفين ريزورت رأس الفلوكة" الذي تقوم مؤسسة "فيرم" السويسرية المتخصصة في أبحاث الثدييات البحرية بإنشائه والمتمثل في محمية للدلافين ومرصد للحيتان الضخمة العابرة لمضيق جبل طارق. ويهدف المشروع إلى إنشاء محمية طبيعية داخل المجال البحري المعدة لاستقبال مجموعة من الدلافين التي تعيش حاليا في حالة أسر داخل أحواض مغلقة، من أجل مساعدتها على التأقلم مع الحياة البحرية الطبيعية قبل إطلاقها في البحر.

وإذ استعادت طنجة وضعيتها كمجال للتبادل الحر منذ 1991، فإن مشروع ربطها بأسبانيا عبر قنطرة أو نفق من جهة، وبالأخص بولاية إجازة إجازة طنجة المتوسطي من جهة ثانية،

فإنهما يفتحان آفاقا رحبة أمام مدينة البوغاز لكي تتبوأ دورا بارزا على مستوى النشاط الاقتصادي والسياحي غرب المتوسط، هذا المركب الضخم يتألف من ميناء سيصبح ثاني ميناء بالملكة (بعد الدار البيضاء) ومنطقة حرة صناعية وتجارية ومنطقة سياحية شاسعة، فعروس شمال المغرب تمتلك حقا شتى المغريات والمؤهلات لجذب مختلف أصناف السياح عبر العالم. ■

المدينة بجمالها العديد من الفنانين العالميين الذين استقروا بها أمثال "دولاكروى" و"سان-ساينس" و"بيير لوتي" و"ماتيس" و"فان دونغن" و"تينيسي ويليامس" و"بول موران" و"جان جيني" و"جوزيف كيسيل" و"وليام بوروز" و"بول بولز"، ماكان له أيضا دور في التعريف بها وبالمغرب على الساحة الفنية الدولية. وأعطت للمغرب مفكرين ومبدعين ذوي شهرة عالمية، مثل المفكر عبد الله كنون والموسيقار محمد بن العربي التمسسماني وعدد من الروائيين والرسامين.

وحتى المدينة سنويا، منذ سنة 2000، مهرجان موسيقى الجاز "طنجاز" الذي يشتمل على عروض لمدة أسبوع لفنانين قادمين من مختلف القارات. كما أنها تستضيف مهرجان الفيلم القصير المتوسطي إلى جانب تظاهرات فنية وثقافية متعددة.

أهم المعالم السياحية

تعرض مدينة البوغاز على السائح مشهدين متفردين هما "رأس مالاباطا" شرقا بالساحل المتوسطي، حيث يمكن التمتع بمنظر رائع لطلوع الشمس، و"رأس سبارطيل" المطل على المحيط الأطلسي، الذي يقدم مشهدا خلابا لغروب الشمس. وتتوفر طنجة أيضا على عشرات الكيلومترات من الشواطئ الرائعة ذات الرمال الذهبية والمياه الهادئة سواء على الساحل المتوسطي أو الساحل الأطلسي. وعلى مقربة من "رأس سبارطيل" حيث تخرج مياه المتوسط والأطلسي، توجد "مغارات هرقل" حيث أقام العملاق "هرقل" واستراح بعد إجازته للأعمال الخارقة الشهيرة حسب الأساطير اليونانية والتي إلى جانب دلالاتها التاريخية تتمتع بجمالية خاصة تجعلها قبلة للسياح المغاربة والأجانب على حد سواء. وفي الطريق المؤدية إلى "راس سبارطيل" توجد "الغابة الدبلوماسية" الممتدة على عشرات الكيلومترات التي تفتح ذراعيها الخضراوين بشجر البلوط والصنوبر والأرز لعشاق النزهة والفسحة والرياضة. وهناك في قلب المدينة القديمة "القصبه"

العصر الذهبي

وموقعها القريب من أوروبا والبعيد نسبيا عن العاصمتين التاريخيتين للمغرب، فاس ومراكش، أهلها في أواخر القرن الثامن عشر لاحتضان السفارات والمصالح الأجنبية المرتبطة بها، فكانت بذلك بمثابة عاصمة دبلوماسية للمغرب، ما ساهم في تألق نجم مدينة البوغاز، إذ توافد عليها زوار وسياح من عدة دول، أهمها بريطانيا وفرنسا وأسبانيا والولايات المتحدة والبرتغال وإيطاليا.

وأقام بها في منتصف القرن التاسع عشر الجنرال الإيطالي "غاريبالدي" وحرر بها مذكراته. وقد زارها القيصر الألماني "غيوم الثاني" سنة 1905 للتعبير عن أطماع بلده تجاه المغرب. وفي الحقبة الاستعمارية حظيت المدينة بحكم مكانتها وموقعها بوضع خاص، فهي لم تخضع لا للأسبان الذين سيطروا على شمال المغرب ولا للفرنسيين الذين امتد نفوذهم على معظم التراب المغربي، بل تمتعت بنظام "المدينة دولية" بين 1923 و1956، وهو نظام فريد في التاريخ الدولي تمثل في اكتسابها حرية اقتصادية تامة وحياد سياسي وعسكري. وخلال هذه الفترة عاشت المدينة عصرها الذهبي، بحيث كانت المدينة محور نشاط سياحي وتجاري وثقافي وسياسي منقطع النظير. أول الجرائد التي عرفها المغرب صدرت من طنجة، مثل "الديبش ماروكان" (أقدم جريدة بالمغرب) و"صوت المغرب". كما تطورت فيها محطات إذاعية محلية وأجنبية متعددة: الإذاعة الدولية (بالعربية والفرنسية)، ورايو طنجة (بالأسبانية) وصوت أمريكا (بالإنجليزية) وغيرها. وعبرها كانت الحركة الوطنية المغربية تبلغ مواقفها للرأي العام العالمي وعلى أرضها وقع في سنة 1947 اللقاء التاريخي بين مثلي حركات التحرر المغربية، "حزب الاستقلال" المغربي و"جبهة التحرير الوطني" الجزائرية و"الحزب الدستوري" التونسي، ومنها أعلن الراحل محمد الخامس في خطابه التاريخي يوم 9 أبريل/نيسان 1947 لأول مرة عن حق الشعب المغربي في الاستقلال والوحدة، وفي المجال الفني، سحرت